حلقة نقاشية عنوانها:
من أنـا؟ مـا هويتي؟

يجدر بالأب والأم أن يقيما مثل هذه الحلقات الحوارية البعيدة عن الأمر والنهي لترسيخ القيم والهوية في نفس الأولاد، هذا نص حلقة نقاشية حول الهوية أعددتها للطلاب وقد كان لها أثر كبير في ترسيخ كثير من المبادئ في نفوسهم، وردت علىٰ كثير من الأسئلة التي تدور في الأذهان في مراحل النمو الأولىٰ.

(الطالبات يَجلسْنَ علىٰ شكل نصف دائرة فوق المسرح، وتتوسَّطُهنَّ مديرة الحلقة).

البداية: تقف مديرة الحلقة (إيمان) وتُلقي هذه المقدمة:

إيمان: في إحدىٰ حصص التحدُّث طرَحت المعلمة سؤالًا أخذ من نفسي ومن تفكيري، وفكَّرت كثيرًا فيه، ثم قررت طرحه عليكم، بل أريد أن يسأله كلٌّ منَّا لنفسه، السؤال هو:

مَنْ أنت؟

- فكرت كثيرًا: حقًّا، مَنْ أنا؟ مَنْ أكون؟

في الحقيقة جلست أفكِّر كثيرًا في الإجابة عن هذا السؤال، ولأنه سؤال صَعْب يبعَث الحيرة في النفس، أخذتُ أبحثُ حتىٰ توصَّلتُ إلىٰ أن معرفة النفس شيءٌ صَعْبٌ حقًّا، فالإنسان لديه رُوح وجسدٌ، وكلاهما عظيم، فالرُّوح حجَب كُنْهَها ربُّ العباد عن البشر، وقال: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

أما الجسد فهو عظيم أيضًا، غير أن الله كشَف لنا شيئًا من سرِّه، وجعله مدادًا للتأمُّل؛ حيث أمرنا -سبحانه- بالوصول لقُدرته وعظمته من خلال هذا الجسد المعقَّد في تركيبه، والعظيم في صناعته؛ فقال تعالىٰ: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

وحتىٰ أخرُجَ من دائرة الأفكار الواسعة هذه، أعَدْتُ السؤال علىٰ معلمتي: مَنْ أنا؟

فقالت: اعرِفي هُويَّتك تَعرِفي من أنت.

لقد أخذتني إلىٰ زاوية بعيدة عن الجسد وعن الرُّوح أيضًا، لكنها مهمة!

فبات السؤال:

ما هُويَّتي؟

توجَّهت بالسؤال إلىٰ صديقاتي لعلِّي أجد عندهنَّ ما يَشْفي غُلَّتي، فنظَّمْتُ هذه الحلقة النقاشية تحت عنوان:

ما هُويتي؟

(تستدير لأعضاء الحلقة):

إيمان: زميلاتي الحبيبات، أتوجَّه بالسؤال إليكم:

ما هويتنا؟

- تَستأذن ربا وتقول: الإجابة يسيرة يا إيمان، فأنت عربية!

إيمان: ما معنىٰ عربية؟!

ربا: تعني أنك تتحدثين العربية، وتسكنين شبه جزيرة العرب!

إيمان: نعم، نعم، أتحدَّث العربية، يا لها من لغة، أتدرين يا ربا كم تأخذني أشعارها، ويَخفُق قلبي لتعبيراتها!

تذوَّقي معي قول الشاعر:

وأشَدُّ ما لاقَيْتُ مِنْ ألَمِ الجَوَىٰ ★★ قُرْبُ الحَبِيبِ وما إليه وُصُولُ

كالعِيسِ في الْبَيْداءِ يَقْتُلُها الظَّمَا ★★ والماءُ فوق ظُهُورِها مَحْمُولُ

ربا: معنًىٰ جليلٌ حقًّا ومؤثِّر، أما أنا فيُعجبني قولُ أمير الشعراء في مدح الرسول ﷺ:

وُلِدَ الهُدىٰ فالكائِناتُ ضِياءُ ★★ وَفَمُ الزَّمانِ تَبَسُّمٌ وثَناءُ

نِعْمَ اليَتيمُ بَدَتْ مَخايِلُ فَضْلِهِ ★★ واليُتْمُ رِزْقٌ بَعضُهُ وَذَكاءُ

يا مَنْ لَهُ الأخْلاقُ ما تَهوىٰ العُلا ★★ مِنْها وما يَتَعَشَّقُ الكُبَراءُ

زانَتْكَ في الخُلُقِ العَظيمِ شَمائِلٌ ★★ يُغْرَىٰ بِهِنَّ ويُولَعُ الكُرَماءُ

أمَّا الجَمالُ فأنْتَ شَمْسُ سَمائِهِ ★★ وَمَلاحَةُ الصِّدِّيقِ مِنكَ أَياءُ

وَالحُسْنُ مِن كَرَمِ الوُجوهِ وخَيْرُهُ ★★ ما أُوتِيَ القُوَّادُ وَالزُّعَماءُ

تستأذِن ريان فيُؤذن لها:

أتدرين يا إيمان، لغتنا أعظم اللُّغات علىٰ وجه الأرض؛ فقد قال عنها الإمام ابن تيمية رحمه الله: إن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظمِ شعائر الأُمَم، وبها

يتميَّزون، فاعلَموا -حفِظكم الله- أن اعتياد اللغة يُؤثِّر في العقل والخُلُق والدين تأثيرًا قويًّا بيِّنًا، ومعرفتها فرضٌ وواجبٌ؛ لأن فَهْمَ الكتاب والسُّنة فرضٌ، ولا يُفْهَم إلا بفَهْم اللغة العربية.

أميرة: هل تسمحون لي بمداخلة؟

إيمان: تفضَّلي يا أميرة.

أميرة: اللغة أيضًا قوة؛ قوة تَحمي كالسلاح، أَمَا سَمِعْتم قول مصطفىٰ صادق الرافعي رحمه الله: ما ذَلَّت لغةُ شعبٍ إلا ذَلَّ، ولا انْحَطَّتْ إلا كان أمره في ذَهابٍ وإدبارٍ، وأن هذه العربية بُنِيَتْ علىٰ أصلٍ يجعل شبابها خالدًا أبدَ الدهر، فلا تَهرَمُ ولا تموت، ليس هذا فحَسْب، بل شهِد لها غيرُ أهلها أيضًا، أما قرأتُم أقوالَ المستشرقين عنها؟

- يقول المستشرق مرجليوث الأستاذ بجامعة أُكسفورد: اللغة العربية لا تزال حيَّةً حياةً حقيقيةً، وهي واحدة من ثلاث لغات استولت علىٰ سكان المعمورة استيلاءً لم يَحصُل عليه غيرها.

- ويقول المستشرق جاك بيرك: اللغة العربية لغةٌ المستقبل، ولا شكَّ أنه يموت غيرُها، وتبقىٰ حيَّةً خالدة.

روان تستأذن فيُؤذَن لها:

أنا يُعجبني قول الخليفة عمر بن الخطاب: (تعلَّموا العربية؛ فإنها من دينكم، وتعلُّمُها يَزيد مِن المُروءة)، حقًّا فما رأيت بارًّا بهذه اللغة إلا فيه مِن المُروءة ما يَجعله مميَّزًا في خُلُقه عما سواه.

تعلِّق إيمان: فما بالكم بالله ﷻ الذي امتدَحها عندما قال لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

جوزاء: العجيب يا صديقاتي أن الله تفضَّل علىٰ أهل العربية خاصةً بنعمة عظيمة، ربما لم يَلتفت إليها أحدٌ، سأسألكم سؤالًا: هل مِن السهل أن يتحدَّث أحدٌ بكلام الله؟

- بالطبع لا، ولا يكون أبدًا إلا بِمِنحةٍ إلهية، فمَنْ هذا المخلوق الذي يُمكن له أن يتحدَّث بكلام الخالق؟

فقد قال ابن عباس ﷺ: لولا أن الله يسَّر القرآن علىٰ لسان الآدميين، ما استطاع أحدٌ مِن الخلق أن يتكلَّم بكلام الله ﷻ وقد أقرَّ هذه الحقيقة قوله تعالىٰ:

﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ ﴾ [مريم: ٩٧].

إيمان: بارَك الله فيك يا جوزاء، ذكَّرتِني برائعة حافظ إبراهيم (اللغة العربية تتحدَّث عن نفسها)، أيوجد بينكم مَنْ يحفظُها؟

رؤىٰ: نعم يا إيمان، أنا أحفَظُها ومستعِدَّة لإلقائها عليكم الآن.

إيمان: تفضَّلي يا رؤىٰ.

هذه من أحبِّ القصائد إلىٰ نفسي، كلَّما قرأتُها، شعَرتُ بهيبة اللغة وكأنها أمٌّ تشكو أبناءها وتَنصَحُهم وتُحذرهم، فاستمعوا لقولها:

أنا البَحْرُ في أحْشائه الدُّرُّ كامِنٌ ★★ فهل ساءَلُوا الغوَّاصَ عن صَدَفاتي

أَيَهْجُرُني قومِي عفا الله عنهمُ ★★ إلىٰ لغةٍ لَمْ تتَّصِلْ برُواة؟

وسِعْتُ كتابَ اللهِ لَفظًا وغايةً ★★ وما ضِقْتُ عن آي به وعِظاتِ

فكيف أَضِيقُ اليومَ عن وَصْفِ آلةٍ ★★ وتَنْسِيقِ أسماءٍ لِمُخْتَرَعاتِ

فلا تَكِلُوني للزَّمانِ فإنَّني ★★ أخافُ عليكمْ أنْ تَحِينَ وَفاتي

إلىٰ مَعْشَرِ الكُتَّابِ والجَمْعُ حافِلٌ ★★ بَسَطْتُ رجائِي بَعْدَ بَسْطِ شكاتِي
فإمَّا حَياةٌ تَبْعَثُ الْمَيْتَ في البِلَىٰ ★★ وتُنْبِتُ في تلك الرُّمُوسِ رُفاتي
وإمَّا مَماتٌ لا قيامَةَ بَعْدَهُ ★★ مَماتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسْ بِمَماتِ

إيمان: بارَكَ الله فيك يا رؤىٰ، أحسنتِ الإلقاء والانتقاء أيضًا.

رؤىٰ: شكرًا إيمان، ولكني أرىٰ هُويَّة أخرىٰ توقَّد ذِهني لها الآن بسبب حديثكم، أنت يا إيمان مسلمة، هُويَّتُك الإسلام!

إيمان: وهل في ذلك شكٌّ؟ هل تقصدين أن هُويتي تكون: أنني عربية مسلمة؟

رؤىٰ: حقًّا، نحن عرب مسلمون، جدُّنا عمر؛ عمر الفاروق، رجل يَخافه الشيطان، فإن وجده في طريق ذهَب من طريقٍ آخَرَ.

تقف مريم دون استئذان رافعةً صوتها: أثْقَلْتُم علينا، أنا كويتيةٌ وكفىٰ.

ترد جوزاء: وأنا مصرية أيضًا وكفىٰ.

تضيف شام: أما أنا فمن سوريا؛ سوريا المقتولة من الوريد إلىٰ الوريد.

ترد رؤىٰ: لأجل سوريا وفلسطين وليبيا وبورما.

نحن مسلمون، فإن تألَّم مسلمٌ في قطب الأرض الشمالي، بكيتُ له ودعَمتُه، وإن كنتُ في قطبها الجنوبي، ألَم يقل رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفِهم، كَمَثَلِ الجَسَدِ الواحد، إذا اشتكىٰ منه عُضْوٌ تداعىٰ له سائرُ الجَسَدِ بالسَّهَر والحُمَّىٰ**».

ولا نستطيع أن نُنكر حبَّ الأوطان؛ فإنه يَسري في الدماء، ومثلُه حبُّ المسلمين مهما كان وطنُهم.

وتزيد جوزاء: صدقتِ يا رؤىٰ، والله إني أتألَّم لهم كأنهم إخواني، من أبي وأمي ويزيد، اللهم كُنْ للضُّعفاء في بقاع الأرض، (يعود الجميع لمقاعدهم).

أميرة: هل تسمحون لي بمداخلة؟

إيمان: تفضَّلي يا أميرة.

أميرة: ألا تذكرون خُطبة الوداع لرسول الله ﷺ التي قال فيها: «**أيها الناس، إن ربَّكم واحد، وإن أباكم واحدٌ، كُلُّكم لآدمَ، وآدمُ من تراب، أكرمُكُم عند الله أتقاكم، وليس لعربيٍّ علىٰ عَجَمِي فضْلٌ إلا بالتقوىٰ**».

مريم: أنا أحب التسامح، أنا عربية مسلمة كويتية، ولكني إنسانة، أَرِقُّ لهذا المخلوق الذي كرَّمه ربُّه، وجعله خليفةً في الأرض مهما كانت هُويَّته، وأَشعُر أن هذا من الدين، هل نسيتُم المرأة البغيَّ التي غفَر الله لها بسبب كلب؟

لقد تذكَّرتُ موقفًا من السيرة حول معنىٰ الإنسانية، موقف السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ التي أجارت زوجَها وهو ما زال كافرًا، فأجارَه رسول الله ولم يَخذُل ابنته، بل ردَّ عليه صحابة رسول الله أمواله كاملةً إكرامًا لرسول الله ﷺ، مع أنه كان كافرًا ولم يُسلِم بعْدُ!

ريماس: إذًا أفهَم من هذا الحوار المثمر النافع أنني إنسان، أنا إنسان أتحلَّىٰ بكل قيم الإنسانية كما علَّمها لنا مثال الإنسانية محمد ﷺ؛ مثل: (الصدق، والأمانة، والرحمة، والكرم، والتواضع، والتفاؤل...).

رؤىٰ: نعم يا ريماس، ولكن في حدود الولاء لهذا الدين المبارك، فلا أستحيي من تعاليمه بحجَّة أنني إنسان أُشارك كل إنسان في المبادئ والقيم الإنسانية.

إيمان: يا حبيبات، لا تَأْخُذْنَني في النقاش بعيدًا كما تَفْعَلْنَ مع أ. منىٰ، حديثي عن الهُويَّة فقط، وليس عن علاقتك بالآخرين، فمن المعروف أن ديننا نظَّم علاقتنا بكل شيء، حتىٰ الحيوان والجماد، ألا تَذْكُرْنَ المرأة التي دخلت النار بسبب قطة حبَسَتْها، لا هي أطعمَتْها، ولا هي تركتها تأكُل من خشاش الأرض.

وكذلك نظَّم علاقتنا بالجمادات عندما قال حبيب الله ﷺ عن جبل أحد: «**أُحُدٌ جبلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّه**».

لكن لو لَخَّصْنا ما خرَجنا به من هذا النقاش، فستكون هُويتنا أنني عربية مسلمة، وهي هُويَّة تحت مظلَّة الإنسانية، فأنا إنسان، أنا إنسان أحمِل القيم الإنسانية بمفهوم الإسلام.